المحاضرة 8: الازدواجية والثنائية والتعدد اللغوي

في عالم تتنوع فيه الثقافات وتتقاطع فيه الحضارات، أصبحت اللغة في العصر الحديث موضوعًا متعدد الأبعاد، فلم تعد وسيلة للتواصل فحسب، بل أصبحت مرآة تعكس الهوية الثقافية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات، وأحد أبرز الظواهر التي أثارت اهتمام اللغويين وعلماء الاجتماع هي ظواهر الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية والتعدد اللغوي، والتي رغم تقاطعها المفاهيمي، إلا أن لكل منها خصائص وتمظهرات مميزة.

أوّلا: الازدواجية اللغوية

يعرّف تشارلز فيرغسون (Ferguson, 1959) الازدواجية اللغوية بأنها "وجود نسختين مميزتين من اللغة نفسها تُستخدمان في المجتمع، إحداهما في السياقات الرسمية والأخرى في الاستخدام اليومي غير الرسمي، دون أن يُنظر إلى إحداهما على أنها لغة أجنبية."

فالازدواجية اللغوية تعني وجود مستويين من اللغة ذاتها يُستخدمان في سياقات مختلفة. فهي لا تتعلق بلغتين مختلفتين، بل بشكلين من لغة واحدة،

وتُعد اللغة العربية من أبرز الأمثلة على هذه الظاهرة، حيث نجد:

- المستوى الاول أو السامي وهو العربية الفصحى: وتُستخدم في التعليم، الإعلام، والخطاب الرسمي بصفة عامة.
- المستوى الثاني وهو اللهجات المحلية :تُستخدم في الحياة اليومية، والمحادثات العفوية.

خصائص الازدواجية اللغوية:

- التوزيع الوظيفي: كل نوع يُستخدم في مجالات محددة، الفصحى تُستخدم في السياقات الرسمية والتعليمية، والعامية في الحياة اليومية.
- التعلم: النسخة العليا تُكتسب بالتعليم، والنسخة الدنيا تُكتسب طبيعيًا.
- الاستخدام السياقي يحدد الاختيار بين الفصحى واللهجة.
- التقدير الاجتماعي: وجود "لغة عليا" رسمية (كالفصحى)، مقابل "لغة دنيا" عامية، تُعتبر النسخة العليا أكثر مكانة و"أدبية".
- الثبات: النسختان تتعايشان دون تداخل كبير في الوظيفة، مع احتمال احداث فجوة بين ما يتعلمه الفرد وما يستخدمه يوميًا.

ثانيا: الثنائية اللغوية

وتعرف الثنائية اللغوية على أنها "القدرة على استخدام لغتين بدرجات متفاوتة من الكفاءة، في سياقات وظيفية متعددة، سواء في التحدث أو الفهم أو القراءة أو الكتابة.

-أنواع الثنائية اللغوية:

تُصنّف الثنائية حسب طبيعة اكتسابها إلى:

- ثنائية طبيعية: تحدث عندما يتعرض الطفل للغتين منذ سن مبكرة (قبل سن 3 سنوات)، وغالبًا ما تكون نتيجة للبيئة العائلية أو المجتمع المحيط.
- ثنائية مكتسبة: يتم فيها تعلم لغة ثانية بعد إتقان اللغة الأم، غالبًا من خلال المدرسة أو الهجرة.

كما تصنف حسب درجة اتقانها إلى:

- ثنائية متوازنة: عندما يكون المتكلم قادرًا على استخدام كلتا اللغتين بكفاءة متقاربة.
- ثنائية سلبية: يفهم المتكلم اللغة الثانية لكنه لا يستطيع استخدامها إنتاجيًا.

-أهمية الثنائية اللغوية:

- توسع في المدارك الثقافية.
- تعزيز للقدرات المعرفية والمرونة الذهنية.
- فرص مهنية أوسع.

ثالثًا: التعدد اللغوي

هو "استخدام ثلاث لغات أو أكثر داخل مجتمع أو من قبل فرد، بدرجات مختلفة من الكفاءة والاستخدام"، ويشمل مستويات فردية (شخص يتحدث أكثر من لغتين) أو مجتمعية (مجتمع يحتوي على عدة لغات مستخدمة رسميًا أو فعليًا).

أنواع التعدد اللغوي:

- فردي :شخص يتحدث أكثر من لغتين.
- مؤسساتي :مؤسسات تعتمد أكثر من لغة في عملها (كالاتحاد الأوروبي).
- اجتماعي :عندما تكون هناك لغات متعددة معترف بها رسميًا (كما في كندا، سويسرا، الهند).

التحديات والمزايا:

- مزايا :تعايش ثقافي، فرص اقتصادية وتعليمية، إبداع لغوي.
- تحديات :صراعات هوية، صعوبات في التخطيط اللغوي، مشاكل في تكافؤ الفرص التعليمية.

مما سبق يمكننا القول إن التنوع اللغوي في المجتمعات البشرية ظاهرة طبيعية، وتختلف من مجتمع الى اخر، فالازدواجية اللغوية حالة اجتماعية لغوية ترتبط بوظائف اللغة، والثنائية اللغوية هي قدرة فردية على التنقل بين لغتين، بينما يعكس التعدد اللغوي قدرة المجتمعات على احتضان التعدد والتنوع اللغوي ضمن نسيجها الاجتماعي والسياسي.

ولفهم المجتمعات فهمًا عميقًا، لا بد من تحليل أنماط استخدام اللغة فيها، لأنها ليست مجرد أداة، بل حاضنة للهوية، وساحة لصراع القوة، ومفتاح لفهم التحولات الثقافية.